عزاء وهناء

قصيدة القاها المؤرخ حنا طنوس المادي في حضرة صاحب النبطة البطريرك الجديد . قال :

يا صاحب النبطة ، ان ارتقاءكم الى السدّة البطريركية المقدسة سرّ جميع القلوب ، الا انه لم يخفف شيئاً من حزنكم على فقيد الوطن العظيم ؛ لذلك رأيت من الواجب ان اعزيكم قبل ان اهنئ الطائفة بنبطتكم . فقلت :

١

يا جلالَ الخلودِ بعد الجهادِ ... في سبيلِ الورى ورب العبادِ
مَلَكٌ أم رسولُ ربك هذا ... غادرَ الأرزَ ، قارتدى بالحدادِ ؟
املاكٌ ، وهل يموت ملاك ، ... وهو روح تنزّهت عن فسادِ ؟
ارسول ينيب عنا ولا ... تنهدّ حزناً رواسخ الاطوادِ ؟
ام إليّا بمركبٍ من لهيبٍ ... عبرَ الجوّ مصعداً باتقادِ ،
فتلظّى وقيدُهُ ، واكتوت من ... شرر النار سائر الاكبادِ .

يا شهيداً على عنايةِ ربٍّ ... غمرته بالسعد والاسعادِ ،
حضنته من مهده يتهادى ... في حِمى امّه بكل اتّئادِ ،
ارضعته لبانَ طُهرٍ نقيٍّ ... وسقته ماء التقى والرشادِ ،
صوّرته ملاك طهرٍ وحبٍ ... ورسولا عينَ الهدى والسدادِ ،
سهرت حوله كأمِّ رؤومٍ ... درأت عنه عاديات الموادي .
كان مثل السميّ حزماً وعزماً ... ونشاطاً ـ وغيرةً في الفؤادِ .
نصرته في كل امرٍ خطيرٍ ، ... حبّته الى اشدّ الاعادي ،
أيدته في كل معضلةٍ حلّت ، ... فحُلّت طبق الرضى والمرادِ .
عاش ما عاش ربّه ، بطريركاً ... ناهجاً منهج الاله الفادي .

يوم إلياسَ كان يوماً رهيباً ... مثل يوم القضا بهول احتشادِ ،
ماتم لم نجد له نِدّه ، اذ ... لم يكن للفقيد من اندادِ ،
حشدَ الخلق في بكركي ، كبارًا ... وصغارًا ، من كل قُطر ونادِ .

دول الارض شاركتنا بخطب ، والبرايا تجللت بالسوادِ .
لو وجدنا له ضدًّا ، لقلنا: فقده أدمى اعينَ الأضدادِ .
صحت مجده العنايةُ حقًّا من مهاد الصبا الى الالحادِ .

٢

ان إلياس لم يَمُتْ ، فهو حيٌّ بفعالٍ تجلّ عن تعدادِ .
عاش في شخص من يمثله طهرًا ، ورأيًا ، وقوةً في اعتقادِ ،
ورجاء يزحزح الجبل الشاهق من مرتقاه حتى الوادي ،
واعتمادًا على العناية نادى: لا على النفس ، بل عليها اعتمادي ،
وانعطافًا على الرعية يُزري بانعطاف الآبا على الاولادِ ،
وثباتًا في الرأي للحقّ ، لا يرتدّ عنه ، ولو بطعن الحدادِ ،
وسخاء في بذل ما يقتنيه ، إيهٍ ! لله درُّه من جوادِ !
في سبيل الشقاء والدين، لا الجاه ، وهذي من خطة الزهّاد .

يا هنانا بسادةٍ شرّفونا بوفاق متزهٍ وودادِ ،
ادركوا رأي شعبهم ، فاستخاروا بطريك الارواح والاجسادِ .
عرفوا ما علاقةُ الدين بالدنيا فوافى صوت الضمير ينادي :
خلّصوا شعبكم من الجوع ، اذا شئتم نجاء له من الالحادِ .
فاستخاروا حبرًا جريئًا ، غيورًا ، مستنيرًا ، ذا دربة واقتصادِ .
بهرتهم مآثر الحبر لما ضاء بالكهربا شمال البلادِ .
وارتهان الصليب جوهرة باتت تلالي في عقد جيد الايادي .

يا بشرّي ، قد حزت مجدًا اثيلًا راسخًا في العلى الى الآبادِ .
فهنيئًا لاسرة انجبته في سماء عريضة الامجادِ .
يوم انطون كان يوم انتصارٍ وابتهاج كعيد بعث الفادي .
فيهم الياس قام حيًّا ونادى: يا سرور الاجداد والاحفادِ .

رشحَ الربّ من رشح الشعب ، فامضى احبارنا باتحادِ .
الف حمدٍ معطّر بأريج من ثناء لنخبة الاسيادِ .